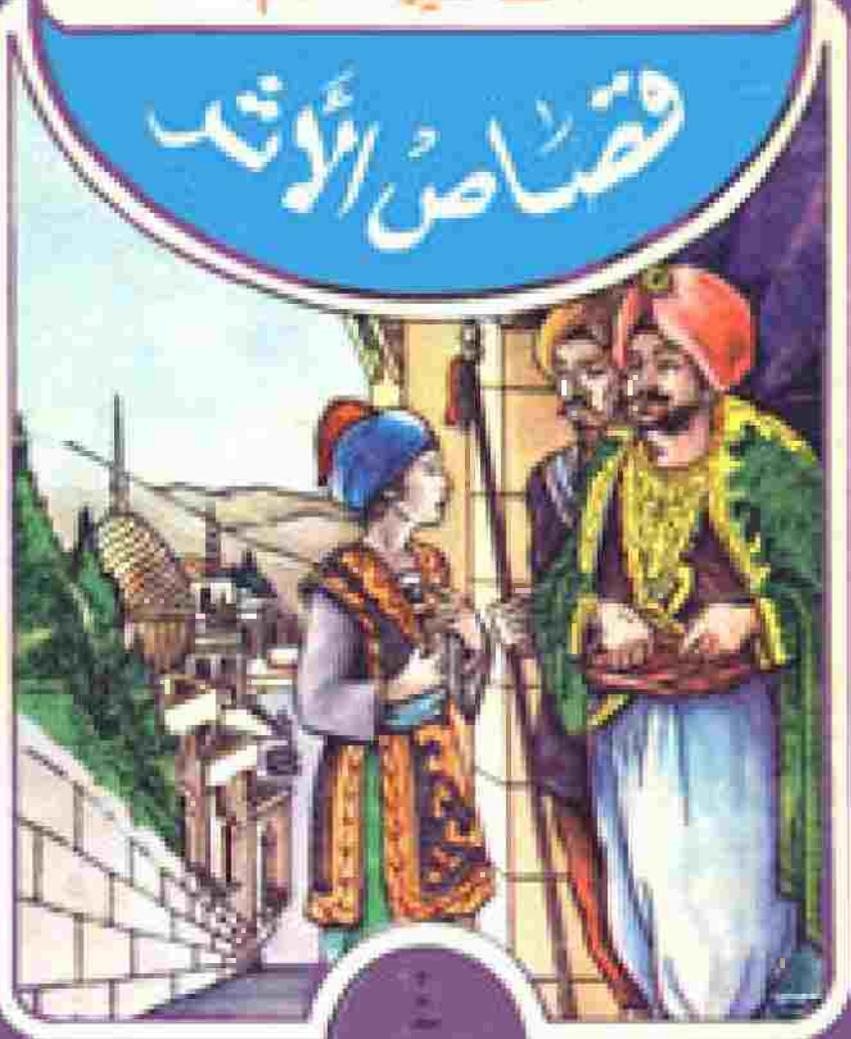


کتاب کیلانی



اساطیر العالم

# قصص الأندلس



تأليف  
د. محمد  
المنصور

كامل كيلاني

أساطير العالم

## قصص الأثر

الطبعة الثانية عشرة



رقم الإيداع	١٩٩٣/٢٨٢٨
التقييم الدولي	ISBN ٩٧٧-٠٢-٣٩٩٣-٣

١-٩٢- ١٢٦

طبع بمطابع دار المعارف" ج. م. ع."

---

لناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.

# الفصل الأول

## ١ - ساكنة الكهف

كانت "السعلاة" (أنثى الغول) تعيش في بعض الأزمان السالفة علي بعد عشرين ميلا- أو تزيد- من مدينة "بنارس": إحدى مدائن الهند المشهورة.

وكانت هذه "السعلاة" قد اتخذت مأواها "مسكنها" في أحد الكهوف "البيوت المنقورة في الجبال". وعاشت "السعلاة" في مغارتها المظلمة الواسعة عيشة راضية " سعيدة". وقد خلقها الله- سبحانه- لتكون أية من آيات العجائب؛ فجعل لها وجه فرس، وجسم فتاة، ووهب لها القوة والبأس والشجاعة، فأصبحت تصارع النمرة فتصرعها، وتحارب الجيش فتقهره " تغلبه" بمفردها، وتهزم أبطاله وحدها.

وكانت هذا "السعلاة" القوية الباطشة الغلابة، تعيش علي ما تفترسه من الدواب والآدميين الذين يوقعهم في قبضتها سوء الحظ، ويرميهم فيأسرها نكد الطالع " سوء البخت، والطالع هو ما يتفاعل- أو ما يتشاعم- به بعض الناس؛ من النجوم".

وكانت تتربص الدوائر بعابري السبيل "تترصد للسائرين"، وتقطع الطريق علي الذاهبين والعائدين، وتكمن لهم في جنبات الطريق، أو تختبئ بين أشجار الغابة الضخمة، ثم تنقض عليهم فتفترسهم وتعيش علي لحمهم أياما، حتى إذا نفذ زادها " فرغ طعامها"، بحثت عن فرائس جديدها أخرى.

## ٢ - الدرويش الهندي

وفي ذات يوم وقع- في قبضة هذه "السعلاة"-فتي من دراويش الهند. وكان هذا الفتى قد خرج- لسوء حظه- وحيدا، وسلك تلك الطريق إلي مدينة "بنارس"، وهو يجهل أن "السعلاة" كامنة له فيها.

ولم تكذب "السعلاة" تراه حتى أمسكت به وحملته، ثم أخذت نعدو- في سرعة لا يتصورها العقل- حتى إذا بلغت كهفها المظلم الرحيب "الواسع"، أودعت الدرويش "وضعته" فيه، لتأكله متى جاءت.

وكان ذلك الدرويش في مقتبل شبابه، وهو يجمع- إلي جمال الخلق- حسن الخلق. وقد أعجبت "السعلاة" بأدبه، وحسن حديثه، وبراعة منطقته، فسألته قائلة:

" افترضني- لو أبقيت علي حياتك- بالزواج بي، أيها الفتى الدرويش؟"

ولم يكن للدرويش بد من تلبية هذا الاقتراح، ليأمن علي نفسه الهلاك.

وقد رأي - بعد أن أطال التأمل، وأنعم "دقق" النظر - أن يختار لنفسه أهون الشرين، ويرضي باحتمال أخف الضررين.

وهكذا تم زواجه ب "السعلاة"، واشتري حياته بهذا الثمن.

### ٣- بعد الزواج

ومرت الأيام- علي ذلك الزواج- وتخلقت "السعلاة" الشرسة، بأخلاق زوجها الوديعه الدمثة"الليينة"، وأصبحت - علي مر الزمن- أنيسة لطيفة، وكفت "امتعت " عن افتراس الناس، وعافت نفسها لحومهم "كرهتها"، وتغيرت عاداتها كلها- شيئاً فشيئاً - فأصبحت مثال الوداعة والوفاء، بعد أن كانت مثال الشراسة والغدر.

### ٤- حذر "السعلاة"

ولكن "السعلاة"- علي ذلك- لم تكن مطمئنة إلي ثبات زوجها علي عهده، وبقائه علي الوفاء لها، بل كانت- علي العكس من ذلك- واثقة من تيرمه "ضجره وضيق صدره" بهذا الأسر، متثبته من تطلعه إلي الفكاك منه، وشغفه بالحريه، وتحينه "تراقبه" كل فرصة تمكنه من الخلاص، وتتيح له الفرار " تيسر له الهرب" ما استطاع إلي ذلك سبيلا.

ومن ثم كانت "السعلاة" شديدة الحذر. دائبة الخوف، تتوقع فراره- يوماً بعد يوم- وترقبه بين ساعة وأخري، حتى لا يتحين منها غفلة، فيرجع إلي بلده أمنا مسرورا. وكانت -لذلك - تسد مدخل الكهف بصخرة كبيرة كلما خرجت منه، حتى إذا أحضرت ما يكفيها ويكفيه من الزاد، فتحت الكهف، واطمأنت إلي بقاء زوجها بجانبها.

وهكذا أصبح الدرويش التاعس أشبه بالعبد الرقيق " المملوك" الذي كتب عليه أن يقضي بقية عمره في سجن لا فكاك له من أسره، ولا مطمح "لا مطمع ولا أمل" له في الخلاص منه.

### ٥- المولود الجديد.

وكانت "السعلاة" تقضي نهارها متربصة بالقوافل "الجماعات المسافرة"، الذاهبة والأيبية "الراجعة" حتى أذا وقعت إحداها في قبضتها، أخذت منها كل ما تريده من الزاد- طواعية أو كرها- دون أن تمس أحدا منهم بسوء. ثم تعود إلي زوجها بكل ما جمعته من لذائذ الأطعمة، وأطايب الفاكهة.

وانقضت -علي ذلك- شهور عدة، ثم وضعت "السعلاة" طفلا جميلا الشكل، بهي الطلعة، تلوح في نظراته-من الشجاعة- دلائل وعلامات، يبدو علي أساريه "خطوط جبينه"- من الذكاء- مخايل "أمارات". ومرت السنون متعاقبة، فكبر الطفل وأصبحت المخايل- التي كانت تلوح علي وجهه- شمائل "صفات" في نفسه. واكتملت مواهبه "تمت مزاياه التي وهبها الله له"، واشتد ساعده، وأصبح -علي مر الأيام- مثالا للشجاعة والقوة والنشاط، برغم نشأته في ذلك السجن المظلم. وقد فرحت "السعلاة" بولدها، وأحبته حبا شديدا، وضاعفت عنايتها بأبيه الدرويش، ولم تدخر وسعا في توفير أسباب السعادة لكليهما معا.

## ٦- حوار الوالد وولده

ولم ينس الدرويش وطنه- طوال هذا الزمن الذي قضاه في الكهف- وكان يتطلع دائما إلي الحرية، فما زال يفكر فيها، ويتحسر علي فقدانها، حتى كاد الهم يقتله، لولا أمل أتاحه ولده، فانتعش قلب الدرويش، وعاوده الرجاء بعد اليأس، وأدرك أن ظفره بالحرية قريب وأن خلاصه من الأسر وشيك "سريع".

فقد قال له ولده ذات يوم:

"خبرني -يا أبتاه- لماذا اختلف وجهانا عن وجه أمي!؟"

فأجابه الدرويش قائلاً:

"إنما اختلف وجهانا عن وجه أمك، لأننا آدميان، أما أمك فهي "السعلاة" من الغيلان".

## ٧- صخرة الكهف

فقال الغلام لأبيه:

" فما بالنا "ما شأننا "نعيش مع هذه الغول في مثل هذا الكهف المظلم، وما بالنا لا نخرج منه لنعيش بين رفاقنا وأبناء جنسنا من الأدميين؟"

فأجابه الدرويش: "إنما اضطررنا إلي ذلك اضطرارا، فقد سجنتنا أمك "السعلاة" في هذا الكهف، وسدت منفذه بهذه الصخرة الهائلة التي لا يقدر علي تحريكها أحد، ولولا ذلك لتم لي الفرار- من هذا السجن البغيض- منذ زمن بعيد "

فعجب الغلام مما سمع، وأسرع إلي الصخرة، ودفعها بيده دفعة قوية، فتدحرجت -علي الفور- وانفتح الكهف بعد أن كان مغلقا.

## ٨ - في الهواء الطلق

وكانت مفاجأة سارة مدهشة، ولكن الدرويش لم يكد يخرج من الكهف المظلم حتى بهر عينيه الضوء "غلبهما النور"، فكاد يذهب بنورهما. واختلج بصر الدرويش، وأصبح شبه أعمى؛ فأغمض عينيه طويلا، ثم فتحهما - بعد أن عصب رأسه - ثم رفع الغطاء عن عينيه قليلا، حتى ألقت عيناه الضوء بعد جهد جهيد " بعد تعب شديد".

وقد حمله الصبي، وانطلق بعدو به في سرعة نادرة، حتى جهده السير " أتعبه المشي"، وأضعف قواه. فجلس مع أبيه ليسترخ من عنائه، ويجدد من قوته ما يمكنه من استئناف السير.

## ٩ - مقدم "السعلاة"

وإنهما لجالسان، إذ طرق أسمعهما صوت أقدام "السعلاة"، وهي تنهب الأرض نهبا، وتطوي الطريق طيا، في اقتفاء أثرهما " السير في طريقهما ". ولم تكذ تراهما حتى صاحت فيهما مغضبة:

" الويل لك أيها الزوج الجاحد! والويل لك أيها الطفل العاق! أكنذكما تجزيانتي - علي صنيعي " معروفي" - أقبح الجزاء؟

خبراني: ما الذي حبب إليكما الهرب، وأغراكما بالفرار؟ ألم أتخذ لكما فراشا وثيرا "لينا" من ورق الشجر والطحلب "الخضرة التي تنبت علي وجه الماء"؟ ماذا أعوزكما " احتجتما إليه" من طعام أو شراب؟ ألم احضر لكما أشهي ما يشتهييه إنسان من أطايب الثمار ولذائذ الفاكهة؟" فقال لها الغلام:

" قد صدقت - يا أماه- في كل ما نطقت به، ولكنك حرمتنا شيئا لا تطيب الحياة إلا به، فحجبت عنا ضوء الشمس، وسلبتنا نعمة الحرية، فلم ننع بالهواء الطلق والنور البهيج، وهما - فيما نري- أحب إلينا من أطعام والشراب.."

قالت "السعلاة": " ارجعا إلي أمنين، فقد منحتكما ما تطلبان، ولن أضنن " لن أبخل" عليكما بشيء مما تحبان "

فاضطرا إلي العودة - مع "السعلاة"- مرغمين. وقد برت "السعلاة" بوعدها، فحطمت الصخرة التي كانت تسد بها منفذ الكهف، وأذنت لهما في أن يجوسا " يمشيا " خلال الغابة وفق ما يحبان، علي أن يكفا- بعد هذا اليوم- عن التفكير في الهرب.

وهكذا أطلقت لهما حرية السير، وظلت ترقبهما دون أن تشعرهما بذلك. فكانا لا يجتازان في تجوالهما "سيرهما" أكثر من ميل بعيد عن الكهف، حتى يسمعا وقع أقدام "السعلاة" وهي قادمة في أثرهما "خلفهما".

## ١٠ - في ظلام الليل

وقد عرف الغلام أن سلطان أمه ونفوذها لا يمتدان إلي أكثر من فرسخين ينتهيان بالنهر، وثلاثة فراسخ تنتهي بالجبل من الجهة الأخرى. وظل يعد عدته للهرب، حتى إذا رأى الفرصة سانحة لتحقيق إربته، وإنقاذ رغبته، صبر علي "السعلاة" حتى إذا استغرقت في النوم، خرج الغلام مع أبيه في ظلام الليل - من الكهف - زاحفين. وظلا يجدان السير حتى اقتريا من النهر، وحينئذ سمعا صوت أقدام "السعلاة"، وهي تطوي الأرض طيا، وتتهب الطريق نهيا؛ فلم يثن من عزم الغلام "لم يرده عن إرادته"، بل ضاعف من همته، وشحذ "قوي" من عزمته، فحمل أباه علي ظهره، وظل يعدو "يجري" به مسرعا حتى بلغ النهر، فسيح فيه حتى توسطه، وأصبح بمأمن من بطش "السعلاة". ولم تكد أمه تري ذلك حتى استولي عليها الجزع، فصاحت مولولة:

فقال لها الغلام: " كلا - يا أماه - لا سبيل إلي ذلك، فنحن من أبناء آدم، وأنت من بنات السعال، وما أجدرنا نحن أن نعيش بين أبناء جنسنا وادعين "مرتاحين".

## ١١ - الطلسم

فوقفت "السعلاة" علي شاطئ النهر محزونة باكية، وركعت أمامهما متوسلة ضارعة، وظلت تسح دموعها "تسكبها وتصبها صبا متتابعا" علي صفحة المياه الجارية، فلم تجد ضراعتها وبكاؤها، وظل ولدها سابحا حتى بلغ الشاطئ الأخر، فيئست من عودتهما أو اللحاق بهما، ورأت أن البكاء والجزع لن ينفعا، فصاحت في ولدها قائلة:

" إن حبيك " حبي إياك"، وإخلاصي لك، وشفقتي عليك، لتأبني علي أن أخذك بإساءتك، أو تفارقني من غير أن أهدي إليك هدية تنفعك في قابل أيامك. فخذ معك هذا الطلسم " الشيء الخفي" العجيب، فإنه سيكون أنفع شيء لك في دنيا الأناسي " بني آدم " التي أعتزمت أن تعيش فيها مع أبيك " .

ثم قدفت إليه بالطلسم قائلة: " إليك - يا ولدي - هذا الحجر، فخذه ثم علقه في عنقك، تميمة " حافظا يصونك"، فإنك - بقوة سحره - قادر علي اقتفاء كل أثر، ولن تضل في تعرفه،

واو مضي عليه اثنا عشر عاما كاملة، وستوفق إلي تتبع أثار الأقدام مهما تكن قد عفت " ذهبت أثرها " وضاعت معالمها، واستحال علي غيرك أن يهتدي إليها " .

فشكر لها ولدها ذلك الصنيع، ولقف منها الطلسم، ثم علقه تميمة في عنقه، واحتفظ بهذه الذخيرة النفيسة. وسار مع أبيه في طريقهما إلي " بنارس " بعد أن ودعا تلك الكريمة الوداع الأخير .

## **الفصل الثاني**

## ١ - في قصر الملك

ابتهج الدرويش وولده بما ظفرا به من نعمة الحرية، وزاد ابتهاجهما تلك الهدية النفيسة التي أهدتها إليهما. وما زالوا يجدان السير حتى بلغا المدينة. وكان أول خاطر مر بذهن الغلام هو أن يذهب إلي ملك " بنارس " ليحرس كنوزه ونفائسه من عدوان اللصوص، بعد أن ظفر بالطمس العجيب.

وقد أسرع إلي القصر الملكي، وقابل الملك، وأفضي إليه برغبته، واستعداده لحراسة الكنوز الملكية من كل عاد " معتد"، لأنه خبير باقتصاص الأثر " تتبعه" خبرة نادرة لا يشركه فيها أحد من الناس.

فقال الوزير: " أصادق أنت فيما تقول؟".

فأجابه الغلام: " إي وربي، إنه لحق لا ريب فيه، وستثبت لك الأيام أنني قادر علي اقتفاء أثر اللصوص وتعرف أماكنهم، والاهتداء إلي مخابئهم وأوكارهم " مساكنهم "، مهما تفننوا في أخفاء أثارهم وتضليل الباحثين عنهم. فهل تتفضل - يا سيدي - فترفع أمري إلي جلالة الملك لعله يأذن لي في خدمته؟"



## ٢- أجر القصاص

فقال له الوزير: " ما أرى جلالة الملك مرحبا بخدمتك إياه ليأمن علي كنوزه عادية اللصوص " شرهم".

ثم ذهب الوزير إلي ملك " بنارس" فأخبره بنبأ القصاص. ولا تسئل عن فرح الملك بهذا الخبر، وابتهاجه لسماعه؛ لأنه كان مشهورا بالغني والبخل معا، ولم يكن ينغص عليه راحة باله، ويكدر صفو حياته، ويقلق نومه، إلا خوفه علي كنوزه ونفائسه التي لا تقوم " لا تقدر" بمال. وكان يسهر ليله ويظل نهاره في حراستها حتى لا تمتد إليها أيدي اللصوص. فلا عجب إذا رأي في ذلك القصاص ضالته التي ينشدها " حاجته التي يطلبها" وأمنيته التي يتمناها.

وقال الملك لوزيره: " عد إليه فاسأله: كم يريد أجرا علي ذلك؟"

فقال له الوزير: " لم يفتني ذلك، فقد سألته: كم يريد أجرا علي حراسة الكنوز؟ فقال لي: إنه يطلب مائة دينار يوميا."

فاستكثر الملك هذا الأجر، واستدعي إليه الغلام ليساومه. فلما رأي إصراره علي ذلك، لم بدا من إجابته إلي ما طلب ليريح باله من حراسة نفائسه وكنوزه الثمينة.

## ٣- حوار الملك والوزير

ومر علي ذلك شهور عدة، وذاعت شهرة القصاص في جميع أرجاء المملكة؛ وعرف اللصوص قدرته وبراعته في اقتفاء الآثار، فكفوا عن كل محاولة لسرقة الكنوز، ولم يجرؤ أحد منهم "لي الدنو" الاقتراب" من مكانها.

أما ملك " بنارس" فلم يكن مرتاحا علي الأجر الفادح " الكبير المثقل" الذي يتقاضاه " يأخذه" القصاص، فدعا وزيره إليه- ذات يوم- وقال له: " أني لنا أن نثق بحديث هذا القصاص عن نفسه؟ وكيف نتعرف صدقه من كذبه؟ ومن يدرينا أنه بارع في اقتفاء آثار اللصوص كما يدع؟ وما بالناس " نعطيهم"- كل يوم - مائة دينار، وهو لا يعمل شيئا يسوغ به هذا الأجر الفادح الذي يتقاضاه منا " يعني أنه لم يصنع شيئا- في مقابلة ما يأخذه من المال الكثير- يجعله جديرا به مستحقا له "؟ ألا تراه يقضي يومه كله لاهيا بالشطرنج مع أبيه في حديقة القصر أمام النافورة " الفسقية التي يخرج الماء منها"، وهما يشريان أفخر الأشرية، ويطعمان أشهي الأطعمة " يأكلان ألد المأكلا" ويلبسان أثمن الثياب، ثم لا يعملان - بعد ذلك- شيئا؟ ألا تري أن هذا الغلام قد خدعني، وسخر من بلاهتي " ضعف عقلي"؟.

فقال له الوزير: " لن يعدو أمره أحد احتمالين: فهو إما صادق في دعواه أو كاذب، فإذا كانت الأولى فإن بقاءه لحراسة الكنز ضروري، وليس لنا عنه غني؛ وإن كانت الثانية، فهو جدير بالهلاك جزاء خديعته ومكره."

فقال له الملك: " أليس يجدر بنا أن نبلو أمره " نمتحن حقيقته " ونخبر قوته التعرف قدرته من عجزه؟".

فقال له الوزير: " صدقت يا مولاي، ولبس الرأي إلا ما تراه!"

#### ٤ - السارقان

وفي الليلة التالية دبر الملك ووزيره خطة بارعة لسرقة الكنوز، فاقتحما مخابئها - في ظلام الليل - وأخذوا منها جمهرة " طائفة" عظيمة من اللآلئ النادرة والنفائس الثمينة، ووضعها في حقائب؛ ثم حملوها وداروا بها حول القصر مرات ثلاثا، ليضلوا الباحثين عنها، ثم اجتاز بها حدائق القصر، وتسلفا حائطه وارتقيا " صعدا" سلما عاليا، ثم هبط من سلم آخر إلي أحد الحقول، حيث فتحا صهريجا " مخزن الماء" لا يعرفه أحد غيرهما، وأسقطا الحقائب كلها فيه، ثم عاد أدراجهما إلي القصر، وقد أيقنا أن أبرع قصاصي الأثر لن يهدي إلي ذلك المخبأ الأمين القصي " البعيد".

#### ٥ - بين يدي الملك

وفي اليوم التالي نهض الملك باكرا، وتظاهر بالغضب لاجتراء اللصوص "إقدامهم وهجومهم" علي كنوزه الثمينة، وصاح صيحات مفزعو عالية، وهو يقول متوعدا ثائرا:

" لقد سرق اللصوص الخبثاء جمهرة من أنفس الحلي واليواقيت التي يزدان " يتزين ويتجمل " بها تاجي، ولست أدري: كيف استباحوا داري، وانتهكوا حماي " كيف اقتحموا بيتي الذي أحميه؟" وما عرف: أين كان حارس الكنوز الذي يتقاضى - علي حراستها - أجرا فادحا كل يوم؟"



وما إن أتم ملك " بنارس " قوله، حتى مثل الفتى " وقف " بين يديه، وكان قد علم هذا النبأ الهائل " الخبر المفزع"، وتألّم لسرقة هذه النفائس، فأسرع إلي القصر، ثم قال له علي الفور:

" هاأنذا طوع يديك ورهن إشارتك، وقد جئت إليك مستأذنا في اقتفاء اثر اللصوص " تتبع خطواتهم".

فقال له الملك: "إنما ادخرتك " احتفظت بك" لمثل هذا اليوم، فاذهب موقفا محمودا."

## ٦- نجاح القصاص

وعاد قصاص الأثر وعاد قصاص الأثر إلي مستودع الكنوز الملكية، مقتفيا آثار اللصين، ثم دار حول القصر - كما دارا - مرات ثلاثا، ثم اجتاز الحقائق، وارتقي درجات السلم الأول، وهبط درجات السلم الثاني، ثم سار ميما " قاصدا" الصهريج في وسط الحقل، الذي ألقى فيه اللسان ما سرقاه من النفائس، ثم أمر باستدعاء غواص ماهر لينزل إلي قاع الصهريج، ويحضر ما ألقى فيه من الحقائق!

وكان الملك وحاشيته " المقربون منه" وخاصة قومه يرقبون ذلك القصاص البارع، والدهش مستول عليهم، والحيرة بالغة منهم كل مبلغ.

وقد أدرك القصاص الذكي حقيقة السارقين، فالتفت إلي الملك قائلاً: " لقد اهتديت إلي مخبأ النفائس المسروقة، وعرفت مكانه من هذا الصهريج. ولست أجهل أن سارقي الكنز رجلا جليلا رفيعا المنصب " المقام والعمل "، عظيم الخطر " القدر الشأن ".

وما أنتهي القصاص من كلامه، حتى خرج الغواص من الصهريج حاملا الحقائق المسروقة، واحدة في إثر الأخرى.

فدهش الحاضرون، وتملكهم العجب والسرور، فصفقوا مبتهجين، وحنوا رؤوسهم أمام القصاص معجبين.



## غضب الملك

ولا تسل عن غضب الملك وألنه، حين رأي نجاح في تعرف هذا المخبأ القصي "البعيد"، واهتدائه إلي النفائس المسروقة؛ واشتد به الغيظ لإخفاقه " خيبته" في خداع الفتى الذكي الذي أحبط " أفسد" مؤامرتة، وفضح أمرها، وكشف الستار عن دسيسته المستورة.

وقد أخرجته الغيظ والغضب عن طوره " حده اللائق به"، وأنسياه الحزم والكياسة، وأبيا عليه أن يقف عند هذا الحد من الهزيمة المخزية؟، فهمس في أذن وزيره قائلاً:

" لا أزال أستكثر عليه الأجر الذي يتقاضاه مني - كل يوم - ولا بد لنا من تعجيزه وإرهاقه " تكليفه ما لا يطيق"، واختبار مدي قوته في تعرف اللصين؛ فقد وقفت براعته وحذقه - فيما أري - عند الاهتداء إلي مخبأ النفائس المسروقة. وما أظنه - بالغا ما بلغ من الفطنة والذكاء - قادرا علي تعرف السارقين".

فقال له وزيره الأحمق: " ليس الرأي إلا ما يراه مولاي".

فالتفت ملك " بنارس" إلي قصاص الأثر، وقال أودع فيه اللصوص ما سرقوه من نفائس، ولم يبق عليك إلا أن تتعقب اللصوص، وتذكر لنا أسماءهم لنؤمن بحذقك وجدارتك " مقدرتك".

فقال له القصاص الحازم الذكي " كلا، فما بنا من حاجة إلي ذكر أسماء اللصوص، وليس لهذا أقل خطر " لا قيمة له"، وحسبنا أن نهتدي إلي ما ضاع من الكنز، وأن نتعرف ما سرق، لا من سرق!"

## ٨ - إصرار الملك

فظن الملك أن قصاص الأثر عاجز عن تعرف السارقين. ولم يكن القصاص جاهلا الأمر، ولكن إخلاصه وحبه مليكه قد منعاه أن يفضي بسر اللصين علي ملا "جمع" من الرعية والخاصة وأعيان الحاشية. فقد أدرك القصاص الخطر الذي يهدد ملك " بنارس" ووزيره، إذا افتضح أمرهما، وعرفت الرعية أنهما مثلا دور السارقين.

ولكن ملك "بنارس" لم يقدر للفتي " لم يشكر له" هذا الإخلاص، ولم يتبصر عاقبة أمره، وأبي إلا أن يصر علي تحقيق طلبته، فقال للقصاص غاضبا:

" لن أثق بمقدرتك، ولن أومن بجدارتك " كفايتك" - بعد الآن - ولن أمنحك ما تتقاضاه مني كل يوم من أجر كبير، إذا عجزت عن تعرف اللصوص، وأخفقت في الاهتداء إلي أماكنهم.

وأني لأقسم بتاجي وسيفي هذين لانتقم من أولئك اللصوص الأندال، ولأمتلن بهم أقبح تمثيل " لأعذبهم أشد عذاب"، ولأجعلنهم عبرة لكل من تسول له نفسه " تزين وتيسر له" سرقة هذه الكنوز "

فأدرك القصاص الذكي - حينئذ - أم نلك " بنارس" قد أخرجه الغيظ والحقد عن جادة الحزم " طريقه" وطوح به الكيد إلي هاوية الشقاء؛ فقال له - ليغريه بتوكيد قسمه مرة أخرى - أمام حاشيته وخاصته: " احترس يا مليكي، وتدبر ما تقول، ثم خبرني في صراحة" ألا تزال مصرا علي تعرف السارقين والتتكيل بهم "إيذائهم"؟".

فقال له الملك: " أقسم بشرفي لأنكلن بهم تنكيلا، ولأعذبهم عذابا لا أعذبه أحدا. "

فقال القصاص بصوت جهوري " عال": إذا كان رب الرعية وحارسها وحاميها، وملاذ الشعب " ملجوء" ومناط رجائه " من يتعلق رجأؤه وأمله به ". وموضع ثقته، يخزن الأمانة ويغدر بالمخلصين، ويكذب الناس، ويمثل معهم دور السارق، فخيرني: كيف يفعل الشعب؟ وأي جرم تقترفه الرعية " ترتكبه" بعد ذلك؟"

## ٩ - افتضاح السر

فضحك الملك ساخرا مما سمع، ولم تكفه هذه الإشارة الواضحة التي لا تحتمل تأويلا، وأبت عليه حماقته إلا أن يندفع في تيار الغضب والكيد، دون أن يقدر العواقب الوخيمة " من غير أن يعرف النتائج السيئة ويتدبرها". وطوح به الغرور فلم يعبا بتحذير القصاص، وقال له - في إصرار وعناد- بصوت جهوري:

" إن الشعب جدير أن يعاقب المجرم أيا كان منصبه وخطره "مهما علا مقامه"، دون أن تأخذه في الحق شفاعاة شفيع ولا لومة لائم."

فقال له القصاص، وقد يئس من إصلاحه، وتقويم اعوجاجه:

" أظنني قد أدبت واجبي ولم يبق علي أقل لوم إذا أفضيت بأسماء اللصوص بعد ذلك!"

فقال له الملك: " ما أجدرك بذلك - أيها الفتى - حتى أقتنع بكفايتك، وأثق بجدارتك؛ ولئن لم تفعل، لأخفضن أجرك إلي عشرة دنانير. "

فقال له القصاص في صوت جهوري واضح النبرات:

" لم يسرق هذه الحلبي إلا أنت ووزيرك، وهذه أثر أقدامكما ناطقة بذلك، شاهدة عليكما

تقول؟"

## ١٠ - غضب الشعب

فبهت ملك "بنارس" ووزيره، وكادا يصعقان " كاد يذهب عقلهما" من هول المفاجأة  
وندم الملك علي إصراره وعناده وتهوره " اندفاعه". وغضب الخاصة وسواد الشعب، وثار  
ثائر هم حين ظهرت لهم جلية الأمر " حقيقته".

وعز عليهم أن يكون راعيهم وحامي نمارهم " حارس بلادهم وأهليهم وديارهم" مدلسا  
" خائنا"؛ وأن يمثل - هو ووزيره- هذا الدور الخسيس، ليخفض اجر القصاص، ويحرمه حقه  
الذي عاهده علي أدائه إليه.

\*\*\*

واجتمع مجلس الأمة ورجال الشورى وأعيان المدينة، وقر قرارهم علي عزله وعزل وزيره  
معه، كما اجتمع رأيهم علي تولية هذا الفتى الشريف علي العرش، واحتفوا " احتفلوا" بتتويجه  
أعظم احتفاء.

\*\*\*

وهكذا كوفئ قصاص الأثر أثنى مكافأة علي براعته وصدقه وبعد نظره، وعاش مع أبيه  
الدرويش - دهرا طويلا- في صفاء وابتهاج.

مكتبة الكيلاني<sup>(١)</sup>

الى حمزة الاستاذ كامل كيلاني المحترم

سيدي

لقد استلأ قلبي سروراً حين قرأت في هذه الايام الاخيرة  
جمهرة كبيرة من كتبك التي انشأت بها مكتبة الاطفال .

ولئن صح يقيني لتكون نسيج وحدك في عالم التأليف  
للاطفال في البلاد العربية قاطبة . فلست اعرف لك ضرباً  
في هذا المضمار في اي بلد يطلق اهله بالضاد . فان كتبك  
قد جمعت الى براعة التسلية حسن الاسلوب . ووفرت للعلماء  
معا . ولست ارى لها شيئاً الا تلك الكتب التي تدرس في  
مدارس اوربا الى جانب الكتب المدرسية لتثير في انفس  
الاطفال والشباب حب الاطلاع وحب التسلية كما تثير فيها  
- الى جانب ذلك - حب التفكير وتمهد لها طرائقه .

وعندي ان كتبك قد سدّت هذا الفراغ في عالم البیداجوجيا  
في الشرق بطريقة مثلى . فان جاذبية هذه القصص لا تبلى  
جدتها . فهي حافظة ابداً لروعتها وسحرها . وكل ما فيها يدل  
على سلامة الذوق . فانها تمتاز في موضوعها بحسن الاختيار  
وفي اسلوبها بالمتانة والدقة وفي لغتها بالسهولة . وان صوغ  
عباراتها وانتقاء مفرداتها كينمان عن ذوق عربي اصيل

(١) رأى المستشرق الكبير الدكتور كارلو نليو ، العصور الساسي بمجمع فؤاد الأول للغة العربية .

مكتمل النضوج يشعّ فيها جميعاً. ولست استثنى من ذلك تلك القصص التي قبستها من الآداب الأوروبية فان تجويد أسلوبها وتخيّر الفاظها وطابعها العربي الصميم كل ذلك لا يدع مجالاً للشك في ان هذه القصص هي - بانثائها - عربية باصل وضعها حتماً.

واني لأحبذ اوفى تجبيده تلك العناية التي تبذلها في انتقاء الموضوعات أولاً والاساليب ثانياً واحجام الحروف ثالثاً وترتيب ذلك ترتيباً يتمشى بنجاح تام من الاطفال الى الشباب وفق تدرّجهم في اسنانهم ومداركهم. كما يسترى ان انوّه بالرشاقة والوضوح اللذين يتجلّيان في فن تلك الصور المبدعة التي اردانت بها هذه الكتب.

وبعد فاني اهنيئك - مخلصاً في تهنئتي - بهذا الاثر الجدير بالشكر. كما اتمنى من صميم قلبي ان تعمّ هذه الكتب الاقطار العربية كلها.

فما اجدرها ان يقرأها كل طفل وان يستفيد منها كل فتى وفتاة وتدرسها كل مدرسة ومعهد. وأخلاق بها ان تكون خير مرشد للاجانب الذين يدرسون العربية ويرغبون في الوصول الى غايتهم من اقرب طريق واهدى اسلوب. وتفضل يا سيدي كيلايني بقبول اوفى تحيتي وتقديري

*Carlo A. Nallino*

## الفهرس

٤ ..... الفصل الأول

١١ ..... الفصل الثاني